



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد الواحد والتسعون / السنة الثانية والخمسون

جمادى الأولى - ١٤٤٤ هـ / كانون الأول ٨ / ١٢ / ٢٠٢٢ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>



المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الواحد والتسعون السنة: الثانية والخمسون / جمادى الأولى - ١٤٤٤هـ / كانون الأول ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقوم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورتات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره و فقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكِّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقترضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٤ - ١	الشواهد القرآنية في التوجيه اللغوي للقراءات عند الدمياطي (ت ١١١٧هـ) في كتابه: (إتحاف فضلاء البشر) - دراسة تحليلية - كلاله أحمد كلالتي و عبد الستار فاضل خضر
٤٨ - ٢٥	التوظيف القرآني للإنسان في ديوان (سماء لا تُعنون غيمها) دراسة دلالية أسامة أنور عبد الكريم دبان و محمد محمود سعيد
٧٤ - ٤٩	إعراب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) للشيخ محمد قناوي من علماء القرن الثاني عشر من الهجرة تحقيق ودراسة صلاح الدين سليم محمد أحمد
١١٠ - ٧٥	منهج ابن آدم البالكي (ت ١٢٣٧هـ) في كتابه: مصباح الخافية في شرح نظم الكافية ومصادره ودواعي تحقيق كتابه مع تحقيق نتفة من باب تنازع العوامل دنيا محمد طاهر و صباح حسين محمد
١٣٦ - ١١١	الاستلزام الحوارى لدى غرايس دراسة لنماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلى علاهاني صبري و عبدالله خليف خضير
١٥٤ - ١٣٧	إحلال الظاهر موضع ضمير الرفع المستتر دراسة نحوية دلالية في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ٦٧٦هـ فاتن سالم محمود ورحاب جاسم العطوي
١٧٦ - ١٥٥	الاستلزام الحوارى في أساليب رواية (سر الشارد) لعبدالله عيسى السلامة زياد طارق الحاصود و أحمد عدنان حمدي
٢٠٤ - ١٧٧	الخوف من المكان في الشعر الأندلسي - القرن الخامس الهجري - رعدة بسمان الصائغ و فواز أحمد محمد صالح
٢٢٤ - ٢٠٥	قصيدة الومضة مقاربة في ديوان (قصب يسعى أن يكون نايًا) ديوالي حاجي جاسم
٢٤٠ - ٢٢٥	المفارقة في المجموعة القصصية (مغامرات سندباب) لأحمد جار الله ياسين غسان عزيز رشيد الطائي
٢٦٨ - ٢٤١	الخلاف في رسم الألف بين البصريين والكوفيين وأثره على المحدثين محمد صديق صالح
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٢٨٨ - ٢٦٩	الرتب العسكرية العليا في الدولة المملوكية بالاستناد الى كتاب (الواقي بالوفيات) للصفيدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نهال عبد الوهاب وناصر عبد الرزاق عبد الرحمن
٣١٠ - ٢٨٩	قانون الوثام المدني في الجزائر ١٩٩٥ محمد حسين دويل وسعد توفيق عزيز البزاز
٣٢٨ - ٣١١	شريط أوزو الحدودى والصراع الليبي - التشادي (١٩٧٣-١٩٩٨) أنسام أديب الضاحي و مجول محمد محمود

٣٥٠ - ٣٢٩	تجارة الحنطة في العراق العثماني ١٧٠٠- ١٩١٤ م غسان وليد مصطفى الجوادِي
٣٦٨ - ٣٥١	الواقع الاجتماعي للمرأة البدوية في العراق من خلال كتابات الرحالة في العهد العثماني سجى قحطان قبع
٣٨٤ - ٣٦٩	فتوة الحرافيش والزعار والعياق في مصر في عصر سلاطين المماليك وتأثيرهم في المجتمع شهم فالح حميد السلطان
بحوث علم الاجتماع	
٤٢٦ - ٣٨٥	العلاقة بين الفساد والجريمة المنظمة نموذج معاصر لجرائم الياقات البيضاء - دراسة اجتماعية تحليلية - أحمد عبد العزيز عبد العزيز
٤٥٠ - ٤٢٧	أسباب اختلال الامن الاقتصادي (الفقر انموذجاً) دراسة نظرية أميرة وحيدة خطّاب و شلال حميد سليمان
٤٧٨ - ٤٥١	دور الحكّمين في قضايا الشقاق حماية للأسرة من الطلاق دراسة وصفية تحليلية ميدانية على محاكم مدينة البيضاء وضواحيها عبد العاطي فرج علي الفقيه
بحوث الفلسفة	
٤٩٦ - ٤٧٩	العلية الغائبة في فلسفة ابن رشد سامي محمود إبراهيم
بحوث الشريعة والتربية الإسلامية	
٥٣٢ - ٤٩٧	أثر ضروي حفظ المال في الشريعة الإسلامية على أموال غير المسلمين فراس فياض يوسف
٥٨٠ - ٥٣٣	التعليل بالحاجة عند الفقهاء وتطبيقاتها في المعاملات المالية سعود أزهري عبدالله
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
٦٠٢ - ٥٨١	التكسونومي الوجهي وتطبيقاته في محركات البحث للمواقع الإلكترونية في الجامعات العراقية : دراسة تحليلية عبد القادر أحمد علي الشعباني
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
٦٣٤ - ٦٠٣	السمات الشخصية لدى طلبة جامعة الموصل مكة نائير الدبوني وصبيحة ياسر مكطوف
بحوث المخطوطات	
٦٥٤ - ٦٣٥	الصورة الجمالية في المخطوط العربي مهدي محمد علي كصبان

فتوة الحرافيش والزعار والعياق في مصر في عصر سلاطين

المماليك وتأثيرهم في المجتمع

شهم فالح حميد السلطان *

تأريخ القبول: ٢٠٢٢/٥/٢٨

تأريخ التقديم: ٢٠٢٢/٤/٢٠

المستخلص:

تناول التراث الشعبي ظاهرة اللصوصية التي مثلها فئة من المجتمع المصري التي أطلق عليهم تسميات عديدة منها: الصعاليك، والشطّار، والعيّار، والفتيان، والزّعار، والعيّاق، والحرافيش وأصحاب المهن المحقرة وأشباههم من المعدمين والفقراء والجياح والعاطلين عن العمل الذين طحنهم الفقر وأعجزتهم البطالة، بسبب سوء تدبير الزعماء الحكام، وقد جمع بينهم تاريخياً واجتماعياً في دائرة اجتماعية منبوذة طبقياً واجتماعياً، فهي فئة تعيش على هامش المجتمع، في حالة صراع المجتمع الذي رفضهم فما كان منهم إلاّ أنّهم رفضوا واقعهم المرير، وتمردوا على مجتمعهم، وحاولوا القيام بالثورة للتأثير في تلك المجتمعات؛ لينالوا بأسلوب غير شرعي ما يتصورون أنّه حق شرعي لهم، في عصر سلطنة المماليك عندما حاولوا، فرض واقعهم على المجتمع.

الكلمات المفتاحية: مصر، مماليك، سلاطين، الحرافيش، الزعار.

* مدرس/ قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

المقدمة :

يطلق اسم الصعاليك على جماعة من العرب القدامى، حيث عاشوا في الجاهلية قبل الإسلام وذاع صيتهم في الجزيرة العربية كلها، وهم من قبائل مختلفة من العرب، خرج كل واحد منهم على سلطة القبيلة، ورفض عاداتها وواجباتها واختار العراء سكناً له خاصة بعد طردهم من قبائلهم لمعارضته لحكم القبيلة، إذ كان معظم صعاليك الجاهلية شعراء مجيدين كتبوا العديد من القصائد من عيون الشعر العربي، ومن اهم شعراء الصعاليك الشنفرى، السليك بن سلكة، عروة بن الورد، وتابط شراً.

شكلت الاضطرابات السياسية وانعكاسها السلبي الأوضاع الاقتصادية في بروز مشكلات اجتماعية كبيرة وخطيرة تمثلت في بروز فئات اجتماعية دفعتها الفاقة والجوع والفقر اعلان عصيانها على الواقع المرير الذي تعيشه فظهر نتيجةً لذلك تسميات اطلقت على فئات منهم كان من بينهم يمكن استعراضها على النحو الاتي :

الحرفوش : عرف الحرفوش على انه هو " ذميم الخلق والخلق " ويمكن تعريفه على انهم فئة من الطبقات الدنيا في المجتمع استغللت تشجيع المماليك للتيار الصوفي الداعي إلى الزهد فانخرطوا في هذا التيار طمعا في رزق ثابت مما كان يوقف على هذه التكايا والربط والخانقات بعد ان كانوا يتكسبون من مصاحبة الجيوش عند الجهاد ...

ولعل بوادر هذه الظاهرة في الحضارة الاسلامية منذ عهد الخليفة العباسي الثالث في خلافة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) فيذكر البلاذري عن بدايات هذه الظاهرة بالقول " فلما كثر الصعاليك والزعار والعيارون وانتشروا بالجبل في خلافة المهدي، جعلوا هذه الناحية ملجأ لهم وحوزوا فكانوا يقطعون الطريق ويأوون اليها فلا يطلبون" (١)

وأنهم في إبان الفتن الداخلية لم يتورعوا عن التلصص فكانوا ينهبون بيوت الأمراء والمماليك فقط وبذلك يمكن وصفهم ضمن الطوائف المتمردة التي توسلت بالنهب للتعبير عن رفضهم للواقع الاجتماعي والاقتصادي آنذاك. وهم بهذا الوصف جزء من طوائف المتلصصة وأنهم بهذا المعنى اكتسبوا صفة البطولة في التراث الأدبي الشعبي .

(١) البلاذري: مختصر كتاب البلدان، ٢٣٩-٢٤٠

الزعرار: تسمية أطلقها المؤرخون للدلالة على طائفة من العوام لعبت دورا مماثلا تماما لدور العيارين في العراق والأحداث في بلاد الشام هذه الطائفة هي طائفة الزعرار وهي تعني لغويا - المقاتلة الذين يظهرون ويختفون فجأة ... وهذا يعني أن ظهورهم مرتبط بظهور الأزمات والفتن .

وقبل الحديث عن الحرافيش مصر والقاهرة وزعارها وعايقها ثمة ملاحظتان جديرتان بالإشارة الأولى : أن مصر الفاطمية عرفت فكرة "الأحداث" في أواخر القرن الرابع الهجري ولعلها وصلت إليها عن طريق الشام ونحن نجدتها على اية حال هناك في مطالع عهد الحاكم بأمر الله حوالي سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩ م في حادث واضح يقول يحيى بن سعيد الانطاكي "..... فقد كان الرعايا والرعايع يجتمعون في الاسواق بين يدي الحاكم فيتصارعون ويتدافعون ويتلاكمون فاقتضى ذلك وقوع حرب شديدة بين احداث مصر واحداث القاهرة لأن صار عصابة لرجلين كانا يتصارعان بين يديه وقعت الحرب بينهم في موضع البحر التي تعرف بقبر الحمار وافترقوا في ذلك اليوم وبعد ثلاثة أيام اجتمعوا على وعد كان بينهم في اللقاء، وقد حملوا السلاح وأعدوا آلات الحرب واقتتلوا قتالاً شديداً وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وانهزم أهل مصر وتبعهم أهل القاهرة وأخذوا ثياب النظارة ونهبوا القرافة والمعافر، وقتل الحاكم بأمر فهد بن ابراهيم الرئيس ... وأقر حسين بن جوهر على النظر في الأمر... (١) أمّا الملاحظة الثانية فهي أنّ مصر المملوكية عرفت كذلك نظام " الفتوة الرسمية " بانتقال الخلافة العباسية الصورية إليها .

ففي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠ م البس الخليفة العباسي المستنصر بالله (منصور ابن محمد الظاهر خليفة عباسي ولد في مدينة بغداد (٥٨٨ هـ ١١٩٢ م) كان ابن الظاهر بأمر الله وحفيد الناصر لدين الله بنى المدرسة المستنصرية توفي سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٦ م)) الملك الظاهر بيبرس (ركن الدين بيبرس العلاني البندقاري الصالحي لقب بابي الفتوح سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ولد سنة (٦١٦ هـ / ١٢٢١) وتوفي (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)) سراويل الفتوة (٢) وهكذا راج أمر الفتوة بالمعنى الصوفي في مصر

(١) شوقي عبد الحكيم: الحكاية الشعبية العربية، ١٣٠-١٤٢

(٢) سيرة الظاهر بيبرس، ٢٠٦/١

المملوكية. بشكل رسمي حتى درج سلاطين المماليك فيما بعد حتى القرن الرابع عشر على منح سراويل الفتوة للأمرء، والاعيان المصريين في بعض الأحيان^(١) وهو النظام الذي ضم في جانبه الشعبي وبخاصة في المراحل المتأخرة، الحرفيين والصناع والأصناف وغيرهم من العامة والباعة والسوقة والمعدمين وأشباه المعدمين والعاطلين وهي الطوائف التي شكلت عصب الحركات الشعبية في مصر المملوكية والعثمانية على ما أمر الفتیان العيارين والشطار في بغداد والشام .

ومع ذلك فلم يؤثر أن تسمى أصحاب الحركات الشعبية في مصر الإسلامية بالأحداث أو الفتیان أو الصبيان وإنما تزعمها من اطلق عليهم المؤرخون اسم الحرافيش والزعار والعياق الذين أزهروا نشاطهم منذ اواخر العصر الايوي وخلال العصرين المملوكي والعثماني فتحدثنا المصادر التاريخية عن جماعات شعبية مسلحة من الرجالة أطلق عليها اسم الحرافيش والزعار وقد وصفوا بما وصف به العيارون والشطار والفتیان بأنهم من الرعايع أو الدهماء أو العوام أو الحثالة العامية " أو " الجعدية " أو " الأوباش " أو " الوغاء " أو " السفلة " أو أرادل السوقة وانهم ليسوا الا متلصصة ونهابة ونقابة حرامية ومناسرة وعیاقاً وفديوية وسراقاً وشطاراً ودعازراً ومن طلبية الشر واهل الفساد ... إلى غير ذلك من اسماء وصفات ونعوت .

(١) نفس المصدر، ٤١٨/١-٤٣٥

الحرافيش:

وهم من فئات المجتمع التي ظهرت في مصر وصفهم ابن بطوطة اثناء زيارته الشهيرة لمصر سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م وصف مصر بأنّها: {الثغر المحروس، والقطر المأنوس، العجيبة الشأن الأصليّة البنيان، بها ما شئت من تحسين وتحصين، ومآثر دنيا ودين، كرمت مغانيها، ولطفت معانيها، وجمعت بين الضخامة والاحكام مبانيها} بانهم طائفة كبيرة أهل صلابة وجاه، ودعارة" (١) وذكر لهم حكاية شاهدها، حين خرجوا على الملك الناصر، وثاروا عليه فما كان منه إلاَّ أنَّ استجاب لمطالبهم، وذلك حين سجن الأمير طشطر (٢) المعروف بحمص اخضر(هو من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، تولى نيابة صغد توفي سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م)، فاجتمع من الحرافيش آلاف ووقفوا أسفل القلعة ونادوا بلسان واحد " يا أعرج النحس يعنون الملك الناصر، أخرج فأخرجه " وقد انطلق تأييدهم لهذا الامير لأسباب نفعية (٣) فماهي حقيقة هؤلاء الحرافيش الذين كانت تزخر القاهرة بالآلاف منهم يهيمنون بلا مأوى في الليل والنهار سوى الطرقات ((واجسامهم عارية)) يتراوح عددهم بين خمسين الف ومائة الف (٤) حتى ليموت الكثير من الحرافيش من شدة البرد (٥) ثم ما حقيقة علاقتهم بالسلطة الحاكمة؟ او بالأحرى من هذه الطبقة العسكرية المنعمة التي ((ربت في ماء النعيم والسلطان وظله)) على حد تعبير ابن خلدون ...؟ والى اي مدى بلغت ((مشيخة الحرافيش)) من السطوة بحيث يخشاها السلاطين؟ او بقيمون لها وزنا؟ وهي المشيخة التي صارت تبذل الاموال للظفر بها بمعرفة السلاطين انفسهم (٦) في بعض مراحلها (٦)

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ٢٤/٢

(٢) سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ٣٨

(٣) ابن أياس: بدائع الزهور، ٥٥٨،

(٤) نفس المصدر، ٥٥٨،

(٥) نفسه

(٦) السخاوي: التبر المسبوك، ١٤٦،

ولعله من الطريف الدال هنا أن السلطان قانصوة الغوري^(١) حين خرج لمواجهة الزحف العثماني في معركة مرج دابق قرب حلب بقيادة القادة العثمانيين سلطان سليم الأول في سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م) وكان من نتيجة المعركة تمزق جيش المماليك بسبب الخيانة وبسبب المدافع العثمانية " سافر معه شيخ المشايخ المسمى شيخ الحرافيش، وجنده وصنجة وطبلة، وكان هو قدام طبّل السلطان لما دخل إلى دمشق كما جرت به العوائد القديمة عند خروج التجاريد "الجيش"^(٢) .

وإذا نظرنا إلى النص بسياقه نجد أن الطوائف " المهنية " التي رافق الجيش كثيرة كالكالين والحدادين والنجارين ومغاني الدكة وأشباهم، فهل يعني انه شيخ مشايخ الطوائف والاصناف ومن بينها الطوائف الصوفية، إلا أنّ الجدير بالذكر هنا هو ان شيخ الحرافيش خرج بجنده وصنجه وطبلة مع السلطان بل أمامه كما جرت به العوائد القديمة عند خروج التجاريد، وهذا يعني انهم كانوا يشكلون قوة قتالية عسكرية أو حربية . وهو أمر يذكرنا بفرق الأحداث والفتيان والعيارين أول امرهم قبل ان تسرحهم الدولة .

لغويًا تعني دورها العسكري، فابن منظور في معجمه يذكر: واحرنفتش الرجال إذا صارح بعضهم بعضًا واحرنفتش الديك تهيأ للقتال "^(٣) .

وهو ماتؤيده المصادر التاريخية عند الكلام على الحرافيش ودورهم في جيش صلاح الدين، وقد وصفتهم بانهم فرقة من المطوعة لها قياداتها الخاصة تتقدم الجيش النظامي في الهجوم دون أن تكون جزءاً أساسياً منه ويروي لنا المؤرخون امثلة حية من

(١)الأشرف أبو النصر قانصوه من بيبردى الغوري الجركسي الأصل، هو من سلاطين المماليك البرجية. ولد سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م ثم امتلكه الأشرف قايتباي وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الجمدارية ثم أصبح في حرسه الخاص وارتقى في عدة مناصب حتى ولي حجابة الحُجَاب بحلب وفي دولة الأشرف جنبلط عين وزيراً. بويع بالسلطنة سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م وظل في ملك مصر والشام إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة ١٥١٦. كان الغوري مغرماً بالعمارة فازدهرت في عصره، واقتدى به أمراء دولته في إنشاء العمائر، وقد خلف ثروة فنية جلها خيرية، بمصر وحلب والشام والأقطار الحجازية. واهتم بتحسين مصر فأنشأ قلعة العقبة وأبراج الإسكندرية. وجدد خان الخليلي فأنشأه من جديد وأصلح قبة الامام الشافعي وأنشأ منارة للجامع الازهر. وله مجموعة أثرية مهمة في حلب مكونة من أبنية وجامع ومدرسة.

(٢) السخاوي: التبر المسبوك، ١٠١٢،

(٣) نفس المصدر

المقاومة الشعبية التي ابدتها هؤلاء الحرافيش المصريين وكيف كانوا يتحيلون في اختطاف العدو... بكافة الطرق التي تثير الدهشة والاعجاب (١) .

ونقرأ في حوادث سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م في أثناء الصراع الذي نشب بين أبناء البيت الأيوبي "فذهب الكامل ومعه الناصر لقتال الصالح في دمشق " " حيث خرج الصالح من غد ذلك اليوم بالحرافشة فأحرق العقبية وأخرب أيضاً قصر حجاج والشاغور وغيرهما وأصبح أصحاب الاملاك يشحذون وربما احترق البيت بأهله (٢).

أثناء حصار دمشق وهذا النص يؤكد أن "الحرافيش" كانوا في بداية امرهم من الفرق المقاتلة المستقلة عن الجيش الرسمي للدولة كما يفهم من سياق النص، حيث بقي الجيش العادل وكان لهم دور ايجابي في تحقيق الانتصارات وبث الرعب في جيش العدو، الأمر الذي هباً مادة خصبة لحكاياتهم البطولية في السير والملاحم الشعبية العربية " سيرة الأميرة ذات الهمة وسيرة الظاهرة بيبيرس بخاصة "ولا شك أنّ هؤلاء المقاتلة المطوعة أو الحرافشة كانوا يحظون بمنزلة اجتماعية مميزة نظرا لدورهم في الجهاد .

ولما كانوا بمثابة قوات خاصة متقدمة فقد كانوا مقربين من بعض الأيوبيين ولا سيما في ايام الصراع الداخلي بينهم، ويبدو ان هؤلاء الحرافيش كانوا قد فقدوا دورهم القتالي، بعد زوال الدولة الأيوبية، وانضموا إلى جموع العاطلين والعوام الذين كانت القاهرة تكتظ بهم مع بداية العصر المملوكي (٣) وانضم اغلبهم إلى الخوانق والربط والزوايا الصوفية التي اكثر منها المماليك ولذلك اقتران اسم الحرافيش بالصوفية او الفقراء _ لغة واصطلاحاً _ واحترف بعضهم التسول، حتى كان ينادي في شوارع القاهرة ((اي حرفوش شحت صلب)).. ربما حرصا من المماليك على هيبة هذه الجماعة المتصوفة الفقراء، او استقطابهم اليهم او لانهم كانوا يشكلون ثقلا اجتماعيا تخشاه الدولة .. لكثرتهم مثلا او لقدرتهم على التأثير في الناس .. عموما فان السبكي يقول حول انتشار ظاهرة الاستجداء

(١) العبادي: الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية، ١٤١،

(٢) الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، ٢١٨، تحقيق ناظم رشيد

(٣) عاشور: المجتمع المصري في عصور المماليك، ٣٧-٤٠

بين الحرافيش ما نصه ((وكثير من الحرافيش اتخذ السؤال صنعة، فيسألون عن غير حاجة ويقعدون على ابواب المساجد يشحذون ولا يدخلون للصلاة معهم ^(١) ومع ذلك ظلت الدولة المملوكية في بدايتها تقيم لهم وزنا وتحرص على اتقاء شرهم، فإذا ما مضينا نبحت عن الدور الذي لعبه الحرافيش في العصر المملوكي لا نجد إلا إشارات محدودة تدل على ان سلاطين المماليك وامراءهم، كانوا يتقربون اليهم في بعض المناسبات، فكانوا في فترات السلم _ يجمعون هؤلاء الحرافيش _ على كثرتهم _ وتولون الانفاق عليهم أيام هذه المجاعات ^(٢) أو في المواسم الدينية والأعياد ^(٣) أو بمناسبة بدء تولي السلطة حيث يرسم بجمع الحرافيش " فأجتمع هناك السواد الأعظم من رجال ونساء ففرق على كل واحد منهم ^(٤) " وكان الكثير منهم يموت من شدة البرد" ^(٥) وقد وصف الصفدي هيئة أحد الرجال الصوفية فقال " شيخ مسن فقير حرفوش مكشوف الرأس منفوش الشعر عليه دلق رقيق بالي الخلق قد جمعه من عدة رقاغ " ^(٦) وهو أمر يذكرنا بطائفة اخرى من " الدراويش" الذين يسمون " بلقندرية " وهم جماعة من الناس أشبه بالشطار " الغجر" والفقراء وينتمون أحياناً إلى بعض الفرق الصوفية " الفارسية " " الدراويش" وكانوا يخلقون الرؤوس واللحى والحواجب والشوارب، ويأكلون الحشيشة ويلبسون الطرايطير ويصفهم ما أثر عنهم من شعر شعبي بأنهم أيضاً عراة أو لا يرتدون إلا الدلق ^(٧) على نحو يذكر بشطار بغداد العراة وفقرائها العيارين، وفيما عدا ذلك لا يقدم ابن اياس وغيره شيئاً ذا بال عن الحرافيش، فهم إذن في عصر المماليك ليسوا إلا الفقراء القاهرة وعراتها وعاطليها، وبعبارة أدق وفي ضوء مشايخ الحرافيش الذي صاحب قانصوه الغوري (الأشرف أبو النصر قنصوه من بيبردى الغوري ولد سنة (٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) آخر سلاطين المماليك

(١) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ١٣٦

(٢) ابن اياس: بدائع الزهور، ٨٥-٨٦، ١٩٧

(٣) نفس المصدر، ٧٤٢

(٤) المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ٣٥

(٥) الابشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ١٤٨/١-١٤٩

(٦) الجبرتي: عجائب الآثار، ١٠/٥

(٧) ابن اياس: بدائع الزهور، ١٩٧

قتل في معركة مرج دابق سنة (٩٢٢هـ / ١٥١٦م)) عند الحرب ليسوا سوى بعض الفرق الصوفية أو الدراويش التي ترافق الجيوش المصرية عند الغزو والجهاد^(١) .

ولما كان معظم هؤلاء المتصوفة من الفقراء والسوقة وأصحاب الحرف السافلة على حد تعبير الجبرتي فإنه أطلق عليهم جميعاً مصطلح الحرافيش^(٢) ولكنه عاد فجمع بينهم وبين طوائف أخرى في صعيد واحد من اللصوص والنهاية والخطافة^(٣) وأنهم استحالوا إلى فئة من اللصوص في بعض الفترات^(٤) ثم يعود فيعرف الحرفوش بأنه هو " العامل الذي يعمل بأجرة اليوم عملاً غير ثابت وخصوصاً أعمال الفلاحة^(٥) ... مما يشير إلى أنهم عاطلون أو أجراء يعملون باليومية ... ومثل هذه الفئة على كثرتها ، إذا ما تعطلت أسباب الكسب بسبب الفتن أو المجاعات أو الازمات كانت أوّل من يتضرر بها، ومن ثم لا غرو أن تكون من أوائل الفئات التي تبادر للنهب والسلب ... شأنهم في ذلك شأن ما يفعله العسكر أنفسهم^(٦) وهو ما انتهى إليه أمر الحرافيش في عصره.

غير أنّ ابن تغري بردي يشير بصراحة إلى ان الحرافيش كانوا يتلصصون ... سواء هؤلاء الحرافيش الذين يصحبون عند الغزاة والجهاد أو إبان الفتن الداخلية... فيذكر لنا أن الظاهر بيبرس " رتب على أبواب انطاكية جماعة من الأمراء لئلا يخرج احد من الحرافشة بشيء من النهب ومن يوجد معه شيء يؤخذ منه"^(٧) ويطلق على هذا النوع من اللصوص الذين يرافقون الجيوش الاسلامية أسم " حرافشة المسلمين "^(٨) وأنهم ليسوا إلاّ فئة

(١) ابن اياس: بدائع الزهور، ٦١٥؛المقريزي: اغائة الامة بكشف الغمة، ٣٥

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار ، ١٠/٥

(٣) نفس المصدر: ٢٦/٥

(٤) نفسه، ٣٠٦/٧

(٥) نفسه، ٢٧٦/٧

(٦) نفسه، ٣١٦/٧

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، ١٤٣/٧

(٨) نفس المصدر، ٣٠٥/٧

من تلك الفئات الدنيا" المطوعة " التي كانت تصحب الجيوش ^(١) وأنهم من فقراء الصوفية ^(٢) وأن أعدادهم هائلة وأن بعض السلاطين كان يأنس بهم ويفرح للقائهم .

ومن هؤلاء أيضا، عند ابن تغري بردي، السلطان المنصور لا جين (الملك المنصور حسام الدين لاجين حادي عشر سلاطين المماليك توفي سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) وهو السلطان الذي " كان يحبه العامة وكان للحرافيش دالة عليه" ^(٣) ولكن بعض السلاطين لم يكن يرى فيهم إلا جماعة من اللصوص، ففي ثورة العامة سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م التي تحولت إلى نهب وسلب لبيوت أمراء المماليك وحدهم يذكر ابن تغري بردي أن " قوصون (هو امير سيف الدين قوصون الساقى الناصري (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) رسم بتسمير عدة من العوام، فسمر منهم تسعة على باب زويلة، ثم أمر بالركوب على العامة وقبضهم، ففروا حتى أنهم لم يقدروا على حرفوش واحد " وفي يوم آخر " سمر قوصون أيضا ثلاثة من الطواشية في عدة من الحرافيش على باب زويلة " بتهمة السلب والنهب ^(٤) غير فتنة أخرى يحاول بعض الأمراء المماليك - ايد غمش- أن يستقطب هؤلاء الحرافيش إلى جانبه في صراعه مع قوصون ... فكانت وسيلته إلى ذلك أن أباح لهم بيوتهم وبيوت أمرائهم المماليك " فأقبلت عليه العامة كالجراد المنتشر لما في نفوسهم من قوصون فنأدى لهم أيدغمش (هو من مماليك سيف الدين بن بان الطباخي وهو ممن ساهمه في إعادة الناصر إلى السلطنة وعين نائب عن حلب توفي سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٥م) : يا كسابة عليكم بإسطبل قوصون فنهبوه " ^(٥) والشاهد هنا أن يطلق على الحرافيش " العامة " مرة ثم " الكسابة " مرة أخرى بدلا من تلك المسميات التي تتطوي على الاستعلاء والازدراء كالحرافيش والأوباش والفقراء والسفلة، وسوف يجاربه ابن تغري بردي نفسه في وصفه هذه الثورة فقد كان متعاطفا مع الحرافيش، مؤيدا لما يقومون به من نهب وسلب إذ انه على الرغم من طول

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، ١٥٣/٨-١٦٩-١٧٠.

(٢) نفس المصدر، ٨٨/٨.

(٣) نفسه، ٢٨/١٠-٢٩.

(٤) نفسه، ٢٨/١٠-٦٢.

(٥) نفسه، ٢٨/١٠-٢٩.

وصفه لهذه الفتنة التي قامت في جوهرها على السلب والنهب^(١) لم يستخدم إلا لفظ " كسابة " على حين استخدم كلمات أخرى لوصفهم " كالنهباء والطماعة " في معظم كتبه . ولم يكن هؤلاء الكسابة أو الطماعة والنهباء إلا الحرافيش أنفسهم ... مما يؤكد أن تلك الأحكام التي وصفت بها هذه الفئة كانت احكاما غير موضوعية أو بالأحرى طبقية . وكانت هذه الفئة من العامة التي عرفت بالحرافشة، حين تفقد دورها العسكري، ويضعف شأنها الصوفي سوف تتحول إلى فئة من المتسولين والشحاذين في نهاية عصر المماليك ... وتسمى طائفتهم بطائفة الشحاذين، وتتخذ شكل نقابة لها شيخ أو كبير هو "كبيرهم شيخ الشحاتين " على حد تعبير الجبرتي الذي يؤكد ان أعدادهم كانت هائلة ومريعة في عصره^(٢) وأن ذلك لم يحل دون هجومهم - أبان المجاعات والازمات - على حواصل الغلال ووكالات القمح التي كان يمتلكها الأمراء المماليك^(٣) مما يؤكد ما رواه السبكي من أنهم احترقوا في النهاية - الاستجداء أو الاستكداء، وأنهم اتخذوا من السؤال صفة لهم . غير أن آخر دور شبه عسكري لعبه الحرافيش كان أثناء دخول الحملة الفرنسية مصر (حملة قادها نابليون برنابورت سنة (١٧٩٨-١٨٠١م) استمر الحملة ثلاث سنوات وانتهت بفشل الحملة)؛ إذ انخرطوا في سلك المقاومة الشعبية، إلى جانب الأمراء المماليك دفاعاً عن مصر ... وفي وقت الذي عجز فيه المماليك عن نقل المدافع من داخل القاهرة إلى خارجها حيث معسكرات المقاومة . تطوع جمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال ولهم صياح ونحاب وتحارب بكلمات مثل قولهم " الله ينصر السلطان، ويهلك فرط الرمان - لقب ساخر أطلقوه على قائد الحملة الفرنسية وغير ذلك^(٤) وهو الأمر الذي يشبه دور العامة من الشطار والعيارين في بغداد والبلاد الشام .

ففي عصر سلاطين المماليك وأثناء الحملة الفرنسية - كان كل حرفوش قطع رأساً من رؤوس الأعداء الفرنسيين كان يذهب إلى قائد المقاومة لأجل البقشيش^(٥)، وهؤلاء

(١) نفسه، ٢٨/١٠٠-٢٩

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، ٢٧٤/١٠

(٣) نفس المصدر: ٣٠٢/١

(٤) نفسه، ٣٠٣/١٠

(٥) نفسه، ٧٨/١

الخرافيش اثناء المقاومة وجهوا بطشهم إلى المشايخ والعلماء الذين كانوا يوالون مع الفرنسيين ويتعاونون معهم في الظلام ويقبضون عليهم^(١) ومعهم أوباش العامة وكانوا على درجة من الوطنية، وقد مضى معظمهم في نهب دور هؤلاء المشايخ والعلماء المتحالفين مع الفرنسيين فما كان من هؤلاء المشايخ إلا أنَّ يحتموا بالمحتلين واتهام الخرافيش " واتهموهم عن الفرنساوية بأنَّ مرادهم النهب والسلب والتلصص... خصوصاً أنه ... ليس لديهم في مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك"^(٢)، وقد أثبت الخرافيش ثباتهم وأنضم إليهم بعض العلماء والمشايخ في حركتهم عن ايمان بدورهم الوطني، الأمر الذي لم يعجب المؤرخ الجبرتي ورأى فيه نفاقاً لهؤلاء العوام الذين " لا يدركون عوا قب الامور وأتهم أي العوام - ليسوا بشيء (مثل الباشا والكتخدا والأمرء) ويشكك في نوايا هؤلاء العلماء فيقول " لكنها الفتن يسنسر بها البلغات لا سيّما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغاء اذا كان ذلك مما يوافق أغراضهم" ثم يتمثل الجبرتي بقول المتنبّي :

وزنب جره سفهاء قوم وحل بغير جانبيه العذاب^(٣)

وحجة المؤرخ الجبرتي في تحامله على هذا الفريق من العلماء الذي انضم للعامة من الخرافيش ومن معهم من الزعر والأوباش والحشرات أن الكبار قد قبلوا الصلح مع المحتلين فما بال هؤلاء الصغار يرفضونه ... وبالتأكيد إن الكبار خوفا على مصالحهم قد قبلوا الصلح، في حين صمم الصغار على المقاومة فنقضوا ما وقع من صلح وأشعلوا نار الحرب من جديد.^(٤)

وعلى الرغم من تحامل المؤرخ الجبرتي الذي كان معاصراً للأحداث وأطلق عليهم " الأشرار" إلا أنَّ روح المقاومة المستميتة للمحتل التي ابدتها الخرافيش تبين مدى حسهم الوطني حين هرب زعماء المماليك خارج مصر وراح العلماء والتجار والذين يخافون على

(١) نفسه، ١٠٩/٥

(٢) نفسه، ١١٠/٥

(٣) الجبرتي: عجائب الآثار، ١٢٢-١٢١/٥

(٤) نفس المصدر: ١٣٢-١٢٢/٥

مصالحهم يهادنون المحتل ولم يبقى إلا صوت المقاومة الوحيد، ولم تكن أسلحتهم في المقاومة إلا النابيت والحجارة^(١).

ويذكر لنا ابن اياس شيئاً عن تفاصيل ثورة الزعر - ومعهم العوام - على المماليك ... ففي فتنة سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٧ م التي حدثت بين المماليك يقول ابن اياس : " ونزل السلطان وجلس بالمقعد المطل على الرميّة، وعلق الصنّجق السلطاني، ودقت الكنّوسات حريباً فطلع غالب العسكر فأجتمع تحته في الرميّة الجم الغفير من الزعر والعوام وبأيديهم المقاليع والحجارة ... وكل هذا بغض في المماليك الذين قد التفوا على الأتابكي استدمر ومماليك يلبغا طرفي الصراع وقد جاءوا على الناس، وصار المماليك يهجمون على النساء في الحمامات ويخطفون قماش الناس من الأسواق، فتغيرت منهم القلوب وأبغضهم الناس فلما ركب الأتابكي استدمر ومماليك يلبغا للقتال لاقتهم الزعر والعوام بالحجارة والمقاليع فألقى الله تعالى في قلوب المماليك ومن كان معهم من الأمراء، فأنكسر مماليك يلبغا أنجس كسرة وهرب الأتابكي استدمر ... وكان يظن انه ينتصر فصار الزعر والعوام يقبضون على كل من يروونه من المماليك ويعرونه ويقتلونه شر قتلة واستمروا على ذلك إلى آخر النهار واستمرت الفتنة إلى أوائل سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨ م حيث حدثت واقعة عظيمة بين الفريقين وظن السلطان أنه مأخوذ لامحالة " ولكن السلطان لم يؤخذ فقد انهزم الفريقان، إن الذي انقذ السلطان وأخمد الفتنة هم هؤلاء الزعر الذين نهبوا بيوت المماليك وقبضوا عليهم .

ولتأثير الزعر على المجتمع نلاحظ وصف ابن اياس لهم " فلم تكن إلا ساعة يسيرة، وكسر الأتابكي استدمر والأمير خليل بن قوصون وبقية الأمراء الذين ركبوا مع استدمر، فنهب العوام بيوتهم، وصار يمسكون مماليك يلبغا من الاصطبلات ويودعونهم في الحبوس، ثم قيدوا الأتابكي استدمر والأمير خليل وبقية الأمراء ... وأرسلوهم إلى السجن بثغر الاسكندرية، وأمّا مماليك يلبغا فنفوا .

إنّ دور الحرافيش في المجتمع أنّهم انتهزوا الخلاف بين طوائف المماليك الذي يؤدي إلى اثاره الفتنة، ومن ثم تدهور المجتمع في جميع الجوانب وضعف السلطة الحاكمة

(١) ابن اياس: بدائع الزهور، ١٨٩-١٩٢

والجراً على الأعراف التي تحكم المجتمع وضياع حقوق الناس، ففي الفتنة التي حدثت بين الملك الظاهر برفوق (السلطان الملك الظاهر سيف الدين برفوق ولد في الفقاس اصبح اتابكاً سنة ٧٧٩هـ وتوفي سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٨م) ونائبه في حلب الأمير يلبغا الناصري استطاع الناصري المجيء إلى مصر بجوشه سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م وطرد الظاهر برفوق ونفيه إلى الكرك والاستيلاء على السلطة، ولقد أشارت عديدة نصوص إلى دور الحرافيش والزعار في المجتمع ومدى تأثيرهم في المجتمع ونلاحظ اتساع نشاطهم في فترات يكون فيه هناك خلاف بين الأمراء وتتازع على المناصب؛ إذ يستعين بهم الأمراء المماليك في صراعهم مع بقية الأمراء للاستحواذ على أموالهم الأمر الذي يؤدي إلى حصول فوضى في المجتمع تؤدي إلى توقف غلق الاسواق وتوقف الحياة الاقتصادية .

لقد استطاع السلطان الملك الأشرف شعبان من هزيمة اللأمراء المماليك بالاستعانة بالزعر فيذكر ابن اياس الحادثة " فلم تكن ساعة يسيرة وكسر الأتابكي استدمر (الأمير سيف الدين استدمر نائب السلطنة على دمشق) والأمير خليل بن قوصون وبقية الأمراء الذين ركبو مع مع استدمر فنهب العوام بيوتهم، وصاروا يمسكون ممالك يلبغا من الاضطرابات ويودعونهم في الحبوس، ثم قيدها الأتابكي استدمر والأمير خليل وبقية الأمراء... وأرسلوهم إلى سجن بئر الأسكندرية، وأمّا ممالك يلبغا فنقوا منهم وغرقوا منهم جماعة، وهرب منهم جماعة إلى بلاد المشرق وانتصر عليهم السلطان الملك الأشرف شعبان^(١).

ولعلّ تحول دور الزعر من محاربة الظلم المتمثل باستبداد الأمراء المماليك إلى دور المقاتلة والانضمام إلى السلطان والانحياز إلى فئة من الأمراء الأمر الذي أدى إلى أن تغيرت منهم قلوب الناس وأبغضهم الناس ويتكرر هذا الموقف في كل فتنة تنشعب بين الأمراء وهم في كل مرة ينهبون بيوت أمراء المماليك وحاشيتهم وغلماهم، حتى صار السلب والنهب هدفاً محدداً للزعار^(٢)، وتحولت هذه الفئة أن تفرض سيطرتها على المجتمع بالقوة والفتونة على حساب افراد المجتمع ولعل ما حدث في عهد السلطان برفوق بعد استيلائه

(١) ابن اياس: بدائع الزهور، ١٨٩-١٩٢

(٢) ابن اياس: بدائع الزهور، ١٨٩-١٩٢

على السلطة حيث وردت عدة نصوص تشير إلى دور الزعر ومتى يظهر نشاطهم ومتى يستعين بهم أمراء الممالك وسلطينهم ...

فما يكاد الناس يحسون بتخاذل الظاهر برقوق حتى كثر كلام الناس وتجمع الزعر ينتظرون قيام الفتنة وكانوا يتربصون بالناس والمحلات والحوانيت لينهبوا الناس وتخوف كل واحد على ماله وقماشه "التجار الاثرياء "

The Fatwa of Harafish, Zubara and Al-Ayaq in Egypt in the Era of the Mamluk Sultans and their Impact on the society

Shahim Faleh Hamid al-Sultan *

Abstract

The folklore dealt with the phenomenon of thieves, including thieves, chasers, bullets, boys, bulldogs, legacies, and haraves, and those with despised professions and their likeness of the destitute, the poor, the hungry, and the unemployed who were crushed by poverty and their unemployment, due to the poor management of the ruling leaders, and has combined them historically and socially in a social circle excluded from class and socially from social groups The highest, it is a group that lives on the margins of society, and it is in a state of conflict with this society that expelled them, so that they rejected their bitter reality, and rebelled against their society, and tried to revolt against it and they had an impact in those societies through the revolution against those in charge of it, to obtain in an illegal way What they perceive as a legitimate right for them. And they had a major role in the era of the Mamluk Sultanate, in imposing their reality in society.

Key words: Egypt - Mamluks - Sultans - Harafish - Zaar.

* Lect/ Department of History/College of Arts/University of Mosul.